كلماتٌ عن حافظ[(١)(٢)]

ذهبتُ بقلبي إلى كلِّ مكانٍ ، فوجدت أمكِنة الأشياءِ ، ولو أجدْ مكانَ قلبي ؛ أيُّها القلب المسكين ! أين أذهب بك ؟

هذا ما أجبت به (حافظ) حين سألني مرَّةً : ما لك لا ترضى ، ولا تهدأ ، ولا تستقرُّ ؟ وكان يخيَّل إليَّ : أنَّه هو راضٍ مستقرٌّ هادئٌ ، كأنَّما قضى من الحياة نهمَتَه[(٣)] ، ولم يبقَ في نفسه ما تقول نفسُه : ليت ذلك لي ! وكنت أعجب لهذا الخُلق فيه ، ولا أدري ما تعليله إلا أن يكونَ قد خُلِق مطبوعاً بطابَع اليتم ، فلم يعرف منذ أدرك إلا أنَّه ابن القدَر ، تأتيه الأفراح ، والأحزان من يدٍ واحدةٍ مقبِّلةٍ ، كما تنال الصَّبيَّ ألطافُ أبيه ، ولطماتُ أبيه .

وقد قلت له مرَّةً : كأنَّك يا حافظ تنام بلا أحلام ! فضحك ، وقال : أو كأنَّني أحلم بغير نومٍ .

ولقد عرفته منذ سنة ١٩٠٠ إلى أن لحِق بربِّه في سنة ١٩٣٢ ، فما كنت أراه على كلِّ أحواله إلا كاليتيم : محكوماً بروح القبر ، وفي القبر أوَّله ، ولما أزمَعَ السَّفرَ إلى اليونان ؛ قلت له : ألا تخشى أن تموت هناك ، فتموت يونانياً . فقال : أو تراني لم أمت بعد في مصر ؟ إنَّ الَّذي بقي هيِّنٌ !

* * *

ومن عجائب هذا اليتيم الحزين : أنَّه كان قويَّ الملَكة في فنِّ الضَّحك . كأنَّ القدرَ عوَّضه به ليوجِده في النَّاس عطفَ الآباء ، ومحبَّة الإخوة . ولم يَخْلُ مع فقره من ذريعةٍ قويَّةٍ إلى الجاه ، ووسيلةٍ مؤكَّدةٍ إلى ما هو خيرٌ من الغنى ، فكانت أسبابه إلى الأستاذ الإمام الشَّيخ محمد عبده ، ثمَّ حشمت باشا ، ثمَّ سعد باشا زغلول ، وهذا نظامٌ عجيبٌ في زمن (حافظ) مقابل الاختلالِ

---

(١) كتبها في الذكرى الثَّالثة لوفاته . (س) .

(٢) لمَّا توفِّي حافظ ـ رحمه الله ـ كتبنا فصلاً طويلاً عن أدبه للمقتطف ، فلم تعرض في كلماتنا هذه لشيءٍ من أدب الرَّجل ، وإنَّما هي ذكرى ، وبقايا من الأيَّام . (ع) .

(٣) « نهمته » : النَّهمة : الشَّهوة في الشيء ، والحاجة .

العجيبِ في نفس حافظ ؛ فالرَّجل كالسَّفينة المتكفِّئةِ : تميل بها موجةٌ ، وتعْدلها موجةٌ ، وهي بهذه وبهذه تمرُّ ، وتسير .

وأولئك الرُّؤساء العظماءُ الَّذين جعلهم القدَر نظاماً في زمن حافظ كانوا من أفقر النَّاس إلى الفكاهة ، والنَّادرة ، فكان لهم كالثَّروة في هذا الباب ، ووقع إصلاحاً في عيشهم ، وكانوا إصلاحاً في عيشه ، ولو أنَّ الأقدَارَ تشبَّه بالمدارس المختلفة ؛ لقلنا : إنَّ (حافظ) تخرَّج منها في مدرسة التِّجارة العليا . . فهو كان أبرعَ مَنْ يتاجر بالنَّادرة .

* * *

وهذه النَّوادر كأنَّها هي أيضاً صنعت (حافظ) في شكل نادرةٍ ، فكان فقيراً ؛ ومع هذا كان للمال عندهُ مُتمِّمٌ ، هو إنفاقُه ، وإخراجُه من يده ، وكان يتيماً ، ولكنَّه دائماً متودِّدٌ ، وكان حزيناً ، ولكنَّه أنيسُ الطَّلعة ، وكان بائساً ! ولكنَّه سليمُ الصَّدر ، وكان في ضيقٍ ، ولكنَّه واسع الخُلُق ، وتمام النَّادرة فيه : أنَّه كان طوالَ عمره مُتبسِّطاً ، مهتزّاً كأنَّ له زمناً وحدَه غير زمن النَّاس ، فتتراكم عليه الهموم ، وهو مُستنيمٌ إلى الرَّاحة ، ويعتريه من الجوع مثلُ مَكسلة الشِّبَع ، ويسترسلُ إلى البطالة ، وكأنَّه مُشمِّرٌ للجِدِّ ، ويستمكنُ الحزن منه في ساعةٍ ، فيتهدَّد حزنه بالسَّاعة التَّالية .

رأيته في أحد أيَّام بؤسه الأولى قبل أن يتَّصل عيشه ، وكانَ يَعدُّ قروشاً في يده ، فقلت : ما أمر هذه القروش ؟

قال : كنت أقامر السَّاعة ، فأضعت ثلاثين قرشاً ، ولم يبق لي غير هذه القروش الملعونة ، فهلمَّ نتعشَّ . ودخل إلى مطعم كان وراء حديقة الأزبكيَّة ، فزعمت له : أنِّي تعشَّيت . . . فأكل هو ، ودفع ثمن طعامه ثلاثة قروش ؛ وكنت أطالعُ في وجهه وهو يأكل ، فما أتذكَّره الآن إلا كما طالعته بعد عشرين سنةً من ذلك التَّاريخ حين دعاني (حافظ) إلى مطعم بار اللواء ، وقد فاضت أنامله ذهباً ، وفضَّةً : وكان ـ رحمه الله ـ قد أصدر الجزء الثَّاني من (البؤساء) ورآني في القاهرة ، فأمسك بي حتَّى قرأتُ معه الكتابَ كلَّه فيما بين الظُّهر والمغرب ؛ وركبنا في الأصيل عربةً ، وخرجنا نتنزَّه ؛ أي : خرجنا نقراً .

* * *

وكان على وجه (حافظ) لونٌ من الرِّضا لا يتغيَّر في بؤسٍ ، ولا نعيمٍ ، كبياض الأبيض ، وسواد الأسود ، وهذا من عجائب الرَّجل الَّذي كان في ذات نفسه فنّاً من الفوضى الإنسانيَّة ، حتَّى لكأنَّه حُلمٌ شعريٌّ بَدأ من أبويه ، ثمَّ انقطع وترٌ لا لتُتمِّمهُ الطَّبيعة !

ومن نظر إلى حافظ على اعتبار : أنَّه فنٌّ الفوضى الإنسانيَّة ؛ رآه جميلاً جمال الأشياء الطَّبيعيَّة ، لا جمال النَّاس ، ففيه من الصَّحراء ، والجبال ، والصُّخور ، والغياض ، والبرق ، والرَّعد ، وأشباهها ؛ وكنت أنا أراه بهذه العين ، فأستجمله ، ويبدو لي جزلاً ، مُطَهَّماً[١] ، وأرى في شكله هندسةً كهندسة الكون : تتمِّم محاسنها بمقابحها ، وكم قلت له : إنَّك يا حافظ أجملُ من القَفْر .

أمَّا هو فكان يرى نفسه دَميماً شنيعَ المرآةِ ، متَفاوتَ الخَلْق ، كأنَّه إنسانٌ مغلوطٌ في تركيبه .

وقد سألته مرَّةً : هل أَحَبَّ ؟

فقال : النِّساءُ اثنتان : فإمَّا جميلةٌ تنفر من قبحي ، وإمَّا دميمةٌ أنفر من قبحها ! ولهذا لم يُفلح في الغزل ، والنَّسيب ، ولم يُحسن من هذا الباب شيئاً يسمَّى شيئاً ؛ وبقي شاعراً غير تامٍّ ، فإنَّ المرأة للشَّاعر كحوَّاء لآدم : هي وحدها الَّتي تعطيه بحبِّها عالماً جديداً لم يكن فيه ، وكلُّ شرِّها أنَّها تتخطَّى به السَّموات نازلاً .

* * *

وتهدَّم حافظ في أواخر أيَّامه من أثر المرض ، والشَّيخوخة ، وكان آخر العهد به أن جاء إلى إدارة (المقتطف) وأنا هناك ، فلم يرني حتَّى بادرني بقوله : ماذا ترى في هذا البيت في وصف الأمريكان :

وتخــذتــم مــوجَ الأثيــر بــريــداً حيـن خِلتـم أنَّ البـروق كُسـالى[٢]

---

(١) « مطهماً » : المطهَّم : المتناهي الحُسْن ، والتَّامُّ من كل شيء .

(٢) هذا البيت من قصيدة نظمها حافظ يخاطب فيها الأمريكيين ، وقد أشرنا في مقالنا في المقتطف إلى أنَّ معناه مسروقٌ . (ع) .

فنظرتُ إلى وجهه المعروق المتغضِّن ، وقلت له : لو كان فيك موضع قبلةٍ لقبَّلتك لهذا البيت ! فضحك ، وأدار لي خدَّه ، ولكن بقي خدُّه بلا تقبيلٍ .

* * *

وشهرة هذا الأديب العظيم بنوادره ، ومحفوظاته من هذا الفنِّ أمرٌ مجمعٌ عليه ، وكان يتقصَّص النَّوادر ، والفكاهات ، ومطارحات السَّمر من مظانِّها في الكتب ، ورجال الأدب ، وأهل المجون ، فإذا قصَّها على من يجالسه ؛ زاد في أسلوبها أسلوبه هو ، وجعل يقلِّبها ، ويتصرَّف فيها ، ويبين عنها أحسن الإبانة بمنطقه ، ووجهه ، ونبراتٍ في يده .

وهو أصمعيُّ هذا الباب خاصَّةً ، ويروي منه روايةً عريضةً ؛ فإذا استهلَّ سحَّ[1] بالنَّوادر سَحّاً ، كأنَّها قوافي قصيدةٍ ، تدعو الواحدة منها أختها التي بعدها .

وقد أذكرتني (القوافي) مجلساً حَضرته قديماً في سنة ١٩٠١ أو ١٩٠٠ م ، وكان (مصباح الشَّرق) قد نشر قصيدةً رائيَّةً لابن الرُّوميّ ، فتعجَّب المرحوم الشَّيخ محمَّد المهدي من بسطة ابن الرُّومي في قوافيه ، فقال له (حافظ) : هلمَّ نتساجل في هذا الوزن حتى ينقطع أحدنا ، وكانت القافية من وزن : قدَّرها ، أخمرها ، أخضرها . . . إلخ ؛ وجعلت أنا أحصي عليهما ، فلمَّا ضاق الكلام كان الشَّيخ المهدي يفكِّر طويلاً ، ثمَّ ينطق باللَّفظ ، ولا يكاد يفعل حتَّى يرميه حافظ على البديهة ، فيعود الرَّجل إلى الإطراق ، والتَّفكير ، ثمَّ انقطع أخيراً وبقي حافظ يسرد له من حفظه الغريب .

أمَّا في النَّوادر ؛ فالعجيبة الَّتي اتَّفقت له في هذا الباب : أنَّه جاء إلى طنطا في سنة ١٩١٢ ومديرها يومئذٍ المرحوم « محمَّد محبُّ باشا » وكان داهيةً ذكيّاً ، وظريفاً لبقاً ، وكنت أخالطه ، وأتَّصل به ، فدعا (حافظ) إلى العشاء في داره ، فلمَّا مُدَّت الأيدي قال الباشا : لي عليك شرطٌ يا حافظ ! قال : وما هو ؟ قال : كلُّ لقمةٍ بنادرةٍ !

---

(١) « سحَّ » : سحَّ الماءَ : صبَّه صبّاً كثيراً مُتتابِعاً .

فتهلَّل حافظ ، وقال : نعم ! لك عليَّ ذلك . ثمَّ أخذ يقصُّ ، ويأكل ، والعَشاء حافلٌ ، وحافظ كان نهماً فما انقطع ، ولا أخلَّ ؛ حتَّى وفَّى بالشَّرط ، وهذا لا يمنع : أنَّ الباشا كان يتغافل ، ويتغاضى ، ويتشاغل بالضَّحك ، فيسرع حافظ ، ويغالط بفمه .

ولكنَّ هذه المضحكات أضحكت من (حافظٍ) مرَّةً ، كما أضحكت به ، فلمَّا كان يترجم (مكبث) لشكسبير ـ وهي كأعماله النَّاقصة دائماً ـ دعوه لإلقاء (محاضرةٍ) في نادي المدارس العليا ، والنَّادي يومئذٍ يجمع خير الشَّباب حميَّةً ، وعلماً ، وكان صاحب السِّرِّ فيه (السِّكرتير) زينة شباب الوطنيَّة المرحوم أمين بك الرَّافعي ، فقام حافظ ، فأنشدهم بعض ما ترجمه نظماً عن شكسبير مثَّله تمثيلاً أفرغ فيه جهده ، فأطرب ، وأعجب ، ثمَّ سألوه (المحاضرة) فأخذ يلقي عليهم من نوادره ، وبدأ كلامه بهذه النَّادرة : عُرِضت على المعتصم جاريةٌ يشتريها ، فسألها : أنت بكرٌ ، أن ثيِّبٌ ؟ فقالت : كثرت الفتوح على عهد المعتصم .

ونظر حافظ إلى وجوه القوم ، فأنكرها . . . وبقيت هذه الوجوه إلى آخر المحاضرة كأنَّها تقول له : إنَّك لم تفلح !

ولقد كان هذا من أقوى الأسباب في تنبُّه (حافظ) إلى ما يجب للشَّباب عليه إن أراد أن يكون شاعره ، فأقبل على القصائد السِّياسيَّة ؛ الَّتي كسبهم بها من بعد ، ونادرة المعتصم كالعورة المكشوفة ، ولست أدري أكان حافظ يعرف النَّادرة البديعة الأخرى ، أم لا ؟ فقد عُرضت جاريةٌ أديبةٌ ظريفةٌ على الرَّشيد ، فسألها : أنت بكر ، أم أيش ؟

فقالت : أنا (أم أيش) يا أمير المؤمنين !

* * *

وفنُّ (الشِّعر الاجتماعيِّ) الَّذي عرف به حافظ لم يكن فنَّه من قبل ، ولا كان هو قد تنبَّه له ، أو تحرَّاه في طريقته ، فلمَّا جاءت إلى مصر الإمبراطورة (أوجيني) نظم قصيدته النُّونيَّة التي يقول فيها :

فاعذُرينا على القصور ، كلانا غيَّرته طوارئُ الحدثان

ولقيتُه بعدها ، فسألني رأيي في هذه القصيدة ، وكان بها مُدلاً مُعجباً ، شأنه في كلِّ شعره ؛ فانتقدتُ منها أشياء في ألفاظها ، ومعانيها ، وأشرت إلى الطَّريقة التي كان يحسن أن تخاطب بها الإمبراطورة ؛ فكأنَّني أغضبتُه ؛ فقال : إنَّ الشَّيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، وقاسم أمين ؛ أجمعوا على أنَّ هذا النَّمط هو خير الشِّعر ، وقالوا لي : إذا نظمتَ ؛ فانظم مثل هذا « الشِّعر الاجتماعيِّ » ثمَّ كأنَّه تنبَّه إلى أنَّها طريقةٌ يستطيع أن ينفرد بها ، فقال : إنَّ كلَّ قصائد شوقي الآن غزلٌ ، ومدحٌ ، ولا أثر فيها لهذا الشِّعر ، على أنَّه هو الشِّعر .

وتتابعت قصائده الاجتماعيَّة ، فلقيني بعدها مرَّةً أخرى ، فقال لي : إنَّ الشَّاعر ؛ الَّذي لا ينظم في الاجتماعيَّات ليس عندي بشاعر . وأردت أن أغيظه ، فقلت له : وما هي الاجتماعيَّات إلا جعل مقالاتِ الصُّحف قصائد ؟ .

فالأستاذ الإمام ، وسعد زغلول ، وقاسم أمين ؛ أحدُ هؤلاء ، أو جميعهم أصل هذا المذهب ؛ الذي ذهب إليه حافظ ، وهو كثيراً ما كان يقتبس من الأفكار التي تُعرض في مجلس الشَّيخ محمد عبده ، من حديثه ، أو حديث غيره ، فيبني عليها ، أو يُدخلها في شعره ، وهو أحياناً رديء الأخذ جدّاً حين يكون المعنى فلسفيّاً ؛ إذ كانت ملكة الفلسفة فيه كالمعطَّلة ، وإنَّما هي في الشَّاعر من ملكة الحبِّ ، وإنَّما أوَّلها ، وأصلها دخول المرأة في عالم الكلام بإبهامها ، وثرثرتها .

* * *

وكنت أوَّل عهدي بالشِّعر نظمت قصيدةً مدحتُ فيها الأستاذ الإمام ، وأنفذتُها إليه ، ثم قابلت (حافظ) بعدها، فقال لي : إنَّه هو تلاها على الإمام ، وإنَّه استحسنها ؛ قلت : فماذا كانت كلمتُه فيها ؟ قال : إنَّه قال : لا بأس بها .

فاضطرب شيطاني من الغضب ، وقلت له : إنَّ الشَّيخ ليس بشاعرٍ ، فليس لرأيه في الشِّعر كبير معنى ! قال : ويحك ! إنَّ هذا مَبْلَغ الاستحسان عنده .

قلت : وماذا يقول لك أنت حين تنشده ؟ قال : أعلى من ذلك قليلاً . . .

فأرضاني والله أن يكون بيني وبين حافظ (قليل) ، وطمعت من يومئذٍ .

وأنا أرى : أنَّ « حافظ إبراهيم » إنَّ هو إلا ديوان « الشيخ محمد عبده » : لولا أنَّ هذا هذا ؛ لما كان ذلك ذلك .

ومن أثر الشَّيخ في حافظ : أنَّه كان دائماً في حاجةٍ إلى مَن يسمَعه ، فكان إذا عمل أبياتاً ؛ ركب إلى إسماعيل باشا صبري في القصر العيني ، وطاف على القهوات ، والأندية يُسمع النَّاس بالقوَّة . . . إذ كانت أذُن الإمام هي الَّتي ربَّت الملكة فيه ؛ وقد بينَّا هذا في مقالنا في (المقتطف) .

وكان تمام الشِّعر الحافظيِّ أن يُنشده حافظ نفسه ؛ وما سمعت في الإنشاد أعربَ عربيةً من الباروديّ ، ولا أعذب عذوبةً من الكاظميّ ، ولا أفخم فخامةً من حافظ رحمهم الله جميعاً .

وكان أديبنا يُجلُّ البارودي إجلالاً عظيماً ، ولما قال في مدحه :

فمُرْ كلَّ معنىً فارسيٍّ بطاعتي وكلَّ نَفورٍ منه أن يتودَّدا

قلت له : ما معنى هذا ؟ وكيف يأمر الباروديّ كلَّ معنىً فارسيٍّ وما هو بفارسيٍّ ؟ .

قال : إنَّه يعرف الفارسيَّة ، وقد نظم فيها ، وعنده مجموعةٌ جمع فيها كلَّ المعاني الفارسيَّة البديعة ؛ الَّتي وقف عليها ؛ قلت : فكان الوجه أن تقول له : أعِرنِي المجموعة الَّتي عندك .

أمَّا الكاظميُّ ؛ فكان حافظ يُجافيه ، ويُباعدُه ، حتَّى قال لي مرَّةً وقد ذكَّرته به : « عَققناه يا مصطفى ! » .

وما أنس لا أنس فرحَ حافظ حين أعلمته : أنَّ الكاظميَّ يحفظ قصيدة من قصائده . وذلك : أنَّهم في سنة ١٩٠١ ـ على ما أذكر ـ أعلنوا عن جوائز يمنحونها من يجيد في مدح الخديوي ، وجعلوا الحكم في ذلك إلى البارودي ، وصبري ، والكاظمي ، ثمَّ تخلَّى البارودي ، وصبري ، وحكم الكاظمي وحده ، فنال حافظ الميداليَّة الذَّهبيَّة ، ونال مثلها السَّيِّد توفيق البكري .

ولما زرتُ الكاظميَّ ، وكنت يومئذٍ مبتدئاً في الشِّعر ، ولا أزال في

الغرْزَمة[1] قال : لماذا لم تدخل في هذه المباراة ؟ قلت : وأين أنا من شوقي ، وحافظٍ ، وفلانٍ ، وفلانٍ ؟ فقال : « لِيهْ تِخَلِّي هِمَّتَك ضعِيفةْ ؟ » ثمَّ أسمعني قصيدة حافظ ، وكان معجباً بها ، فنقلتُ ذلك إلى حافظ ، فكاد يطير عن كرسيِّه في القهوة .

* * *

وكان تعنُّت حافظ على الكاظميِّ ؛ لأنَّه غير مصريٍّ ، ففي سنة ١٩٠٣ كانت تصدر في القاهرة مجلةٌ اسمها (الثُّريَّا) ، فظهر في أحد أعدادها[2] مقالٌ عن الشَّعراء بهذا التَّوقيع ، وانفجر هذا المقال انفجار البركان ، وقام به الشُّعراء ، وقعدوا ، وكان له في الغارة عليهم كزفيف الجيش ، وقعْقَعة السِّلاح ، وتناولته الصُّحف اليوميَّة ، واستمرَّت رجفته الأدبيَّة نحو الشَّهر ، وانتهى إلى الخديوي ؛ وتكلَّم عنه الأستاذ الإمام في مجلسه ، واجتمع له جماعةٌ من كبار أساتذة العصر السُّوريِّين ، كالعلامة سليمان البستاني ، وأديب عصره الشَّيخ إبراهيم اليازجي ، والمؤرِّخ الكبير جورجي زيدان ـ إذ كان صاحب المجلَّة سوريّاً ـ وجعلوا ينفذون إلى صاحب المجلَّة دسيساً بعد دسيس ، ليعلموا من هو كاتب المقال .

وشاع يومئذٍ أنِّي أنا الكاتب له ؛ وكان الكاظميُّ على رأس الشُّعراء فيه ؛ فغضب حافظ لذلك غضباً شديداً ، وما كاد يراني في القاهرة حتَّى ابتدرني بقوله : « وربِّ الكعبة ! أنت كاتب المقال ، وذِمَّة الإسلام ! أنت صاحبُه » .

ثمَّ دخلنا إلى « قهوة الشيشة » ، فقال في كلامه : « إنَّ الَّذي يغيظني أن يأتي كاتب المقال بشاعرٍ من غير مصر ، فيضعه على رؤوسنا نحن المصريِّين ! » .

فقلت : « ولعلَّ هذا قد غاظك بقدر ما سرَّك ألا يكون الَّذي على رأسك هو شوقي . . . » .

(١) الغرزمة : أوَّل قول الشِّعر ، حين يكثر الرَّديء فيه . يقال : فلان يغرزم . (ع) .

(٢) عدد يناير سنة (١٩٠٥) ، وانظر : « شعراء عصره » من كتابنا : « حياة الرَّافعي » . (س) .

وغضب السَّيِّد توفيق البكري غضباً من نوعٍ آخر ، فاستعان بالمرحوم السَّيِّد مصطفى المنفلوطي استعانةً ذهبيَّةً . . . وشمَّر المنفلوطي ، فكتب مقالاً في (مجلَّة سركيس) يعارض به مقال (الثُّريَّا) وجعل فيه البكري على رأس الشُّعراء . . ومدحه مدحاً يَرنُّ رنيناً .

أمَّا أنا ؛ فتناولني بما استطاع من الذَّمِّ ، وجرَّدني من الألفاظ ، والمعاني جميعاً ؛ وعدَّني في الشُّعراء ليقول : إنِّي لست بشاعرٍ . . . فكان هذا ردُّ نفسه على نفسه[١] .

وتعلَّق مقال المنفلوطي على المقال الأوَّل ، فاشتهر به لا بالمنفلوطي ؛ وغضب حافظ مرَّةً ثانيةً ، فكتب إليَّ كتاباً يذكر فيه تعسُّف هذا الكاتب ، وتحامله ، ويقول : قد وكلتُ إليك أمر تأديبه[٢] .

فكتبت مقالاً في جريدة (المنبر) وكان يصدرها الأستاذان : محمَّد مسعود ، وحافظ عوض ، ووضعت كلمة المنفلوطي الَّتي ذمَّني بها في صدر مقالي أفاخر بها . . . وقلت : إنِّي كذلك الفيلسوف ؛ الَّذي أرادوه أن يشفع إلى مَلكه ، فأكبَّ على قدم الملك حتَّى شفَّعه ؛ فلمَّا عابوه بأنَّه أدال حرمة الفلسفة بانحنائه على قدم الملك ، وسجوده له ، قال : ويحكم ! فكيف أصنع ؛ إذا كان الملك قد جعل أذنيه في رجليه . . .؟!

* * *

ولم يكن مضىٰ لي في معالجة الشِّعر غير سنتين حين ظهر مقال (الثُّريَّا) ، ومع ذلك أصبح كلُّ شاعرٍ يريد أن يعرف رأيي فيه ؛ فمررت ذات يومٍ (بحافظ) وهو في جماعة لا أعرفهم ، فلمَّا اطمأنَّ بي المجلس ؛ قال حافظ : ما رأيك في شعر اليازجي ؟ فأجبته . قال : فالبستاني ؟ فنجيب الحداد ؟ ففلان ؟ ففلان ؟ فداود عمون ؟ قلت : هذا لم أقرأ له إلا قليلاً ، لا يسوغ معه

---

(١) نشر المرحوم المنفلوطي مقاله هذا في الطَّبعة الأولى من كتابه (النَّظرات) بعد أن هذَّبه ، ثمَّ حذفه من الطبعات الأخرى ، لأنَّه هو كان يعلم أنَّ النائحة المستأجرة لا يسمَّى بكاؤها بكاءً . (س) .

(٢) انظر : « في النقد » من كتاب : « حياة الرَّافعي » . (س) .

الحكم على شعره . قال : فماذا قرأت له ؟ قلت : رَدَّه على قصيدتك إليه :

شَجَتْنــا مطــالــع أقمــارهــا

قال : فما رأيك في قصيدته هذه ؟ قلت : هي من الشِّعر الوسط الَّذي لا يعلو ، ولا ينزل .

فما راعني إلا رجلٌ في المجلس يقول : أنصفتَ والله ! فقال حافظ : أقدِّم لك داود بك عمون !

رحم الله تلك الأيَّام ! .

* * *